

عدد خاص

المودد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الملاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٤

الشيخ الخادم شيخنا الميرزا

الاجابات والدراسات

مركز بحوث ودراسات إسلامية

الاسد عن المعربة عن العرب والمسلمين

بقلم الدكتور

محمّد الحاج قاسم محمد

مستشفى الاطفال - الموصل - العراق

٣ - لقد شدد الرسول (ص) في تطهير ما تلوث بالكلاب كما شدد في عدم السماح في اقتنائها وذلك قبل قرون من اكتشاف انها السبب الغالب في اصابة الانسان وحيواناته الاهلية بداء الكيسة المائية .

٤ - لقد حرم الاسلام الفواحش اي العلاقات الجنسية غير المشروعة ، ما ظهر منها وما بطن ، وفي ذلك دعم للزواج وصون لتماسك الاسرة ونماء الامة ووقاية من عدوى الامراض الزهرية والتناسلية وانتشارها .

٥ - لقد اوصى الاسلام المريض بداء سار ان لا يختلط بالاصحاء قدر الامكان اذا علم ان اختلاطه بهم سيكون سبباً لعدواهم وضررهم .

٦ - لقد امر الرسول (ص) بالبعد عن عرف انه مصاب بمرض سار « فر من المجذوم فرارك من الاسد » ، صحيح ان العدوى بالجذام لا تكون بالسرعة والسهولة التي كان يعتقدونها بعض الناس يومئذ ولكن كان لابد للرسول (ص) من اصدار تعليم يحدد الموقف من الامراض السارية ليسهل على المسلمين في عصورهم المختلفة ان يتلقوا الوصايا الصحية للوقاية من الامراض السارية بقبول حسن .

٧ - لقد وضع الرسول (ص) اساس الحجر الصحي وذلك بنهيه اهل مكان وقع فيه مرض وبائي من الخروج منه ومنع من هم خارجه من الدخول اليه ، وفي ذلك سبق علمي فقال « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوها واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها » .

وكان اول تطبيق للحجر الصحي في عهد عمر ابن الخطاب (رض) حين ظهر الطاعون في اثناء خلافته .

انطلاقاً من عنوان البحث - الامراض المعدية عند العرب والمسلمين - يكون تناولنا للموضوع تناولاً يساهم فيه تاريخنا الطبي العربي والاسلامي عبر ماضيه الزاهر منذ فجر الاسلام حتى بداية عصر التخلف والانحطاط . لذا كان من الواجب قبل التحدث عن مساهمات الاطباء العرب في ذلك ، القاء نظرة على الطب النبوي لكي نستلهم منه بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

لدى البحث في ذلك تبين بان مسألة الوقاية من المراض المعدية استأثرت بجزء كبير من تعاليم الرسول الكريم محمد (ص) الامر الذي جعل الاحاطة بكل تفاصيل تلك التعاليم في هذه المجالة امراً مستحيلاً ، مما دفعني الى ان اكتفي بمرور موجز لما جاء من ارشاداته (ص) في ذلك (١) .

١ - اهتم الاسلام بالنظافة والطهارة في الجسم والملبس لان الطهارة والنظافة من سيماء الكمال والجمال ولأن القادرات هي المصدر الرئيسي للجرائم عوامل الامراض ، فهي وسط صالح جداً لتكاثرها

٢ - اوضحت تعاليم الاسلام في وقاية المياه من التلوث لان تلوثها لأكبر مصدر من مصادر العدوى وانتشار الاوبئة ، من اقواله (ص) « تنكبوا الفبار فان منه تكون النسمة » ويعني ذلك تجنبوا الفبار فان وجدوه في الهواء يساعد على وجود كائنات صغيرة تسبب ضرراً لكم (٢) . كما وان تحريم الميتة ولحم الخنزير ابتعاداً عن اللحوم المرضية والطفيلية .

(١) للمزيد من التفصيل يراجع بحث الدكتور محمود ناظم نسيمي الموسوم « الدخول الى دراسة الطب النبوي » والمقدم الى الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب - حلب ١٩٧٩ - .

(٢) سليمان ، احمد محمد : القرآن والطب ص ٩٣ .

صلبه الى جانب ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشي خائفاً مغموراً سكراناً ، فلا يأكل ويعطش فلا يشرب » . ويذكر الدميري ايضاً ان داء الكلب ينتقل من الكلب المصاب الى الكلاب الصحية والى الانسان والى الذئب والى ابن اوى وابن عرس والثعلب والابل ... وهذا صحيح وأشار اشارة واضحة الى الامراض المعدية والسارية . وهذا الوصف القيم لمرض فيروسى هام من قبل الدميري يوضح بجلاء اثر هذا الكتاب في النهضة الاوربية الحديثة ، هذا المرض لم يعرف الا بعد ان اخترع المجهر واكتشاف الفيروسات من قبل علماء توفرت لهم المختبرات والاساليب الحديثة . (٥) .

٤ - ويقال ان ابن التيمي استعمل التدخين لتطهير الهواء من الاوبئة وشرح استعماله في كتابه (مادة البقاء في اصلاح الهواء والتحرر من اضرار الوباء) (٦) .

٥ - لقد اعتقد ابن سينا ان حصول الامراض يكون نتيجة شيء ما سماه (السبب) لعدم معرفته (الميكروبات) ، وتوصل بفطنته الى ان حصول الامراض تستوجب توفر نوع من الاستعداد البنيوي ، كما انه خمن ما يحصل من صراع بين قوة الميكروبات (السبب كما سماه) وبين وسائل الجسم الدفاعية وهي العملية التي تسمى اليوم (Antigen - Antibody Reaction) .

كما انه توصل ايضاً الى ان (السبب) قد يتغير تبعاً لظروف مختلفة وهذا ما ينطلق فعلاً على بعض الميكروبات ومنها (الرواشح . الفيروسات) يقول ابن سينا في القانون ما نصه « ليس كل سبب يصل الى البدن يفعل فيه ، بل قد يحتاج مع ذلك الى امور ثلاثة ، ١ - الى قوة من قوته الفاعلة . ٢ - وقوة من قوة البدن الاستعدادية . ٣ - وتمكن من ملاقة احدهما للاخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل منه . وقد تختلف احوال الاسباب عند موجباتها ، ربما كان السبب واحداً واقتضى في ابدان شتى امراض مختلفة ، او في اوقات امراض شتى ، وقد فعله في الضعيف والقوى في شديد الحس وضعيفه » .

٦ - لقد سبق ابن خلدون وابن رضوان اطباء وعلماء البيئة بعدة قرون في مسألة تلوث البيئة ، فهذا ابن خلدون على الرغم من عدم كونه طبيباً الا انه اكد بان الزحام والهرج هما سببين رئيسيين من

ان مبدا وجود العدوى في بعض الامراض لم يبحثه اليونان وكان العرب اول من بحث في ذلك ، الا ان عدم معرفتهم بعلم الجراثيم حددت معلوماتهم من ناحية الامراض المعدية ، وعلى الرغم من ذلك فان كتاباتهم عن بعض الاوبئة واثبات العدوى وما ذكروه عن بعض الامراض المعدية تدل على عبقرية فذة في الملاحظة والتجربة والفهم الصحيح ، ويمكن لاي باحث منصف تلمس ملامح تلك العبقرية من استقراء النصوص التالية :

١ - اقوال ابن الخطيب وابن خاتمة في مرض الطاعون : يقول ماكس ما يرهوف ، فوصف المؤرخ والطبيب ابن الخطيب الفرناطي (١٣١٣ - ١٣٧٤ م) عدوى الطاعون في غرناطة سنة ٧٤٩هـ في رسالته الشهيرة (مقنعة السائل في المرض الهائل) نذكر منها هذه الفقرة « وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والملاحظة والاخبار المتواترة وهذه مواد البرهان ... و وقوع المرض في الدار او المحلة فالثوب او الانية حتى القرط اُتلف من علق باذنه واباد البيت باسره ووقوعه في المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعاله منها في افراد المباشرين ، ثم في جيرانهم واقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق » . وكتب الطبيب ابن خاتمة المراكشي المتوفى ١٣٦٩ م كتابه عن الطاعون الذي اجتاحت المربة في اسبانيا سنة (١٣٤٨ - ١٣٤٩ م) نجتزء منه الفقرة التالية « وجدت بعد طول المعاناة ان المرء اذا لا مس مريضاً اصابه الداء ظهرت عليه علاماته ... » (٣) .

٢ - وكان ابن التلميذ اول من نبه طلابه على الامراض الوافدة فقد اوصاهم بقوله « لا تقدروا ان تحيطوا خبرة بكثرة الامراض فان منها ما ياتيكم عن طريق السماوة » ومما يؤثر عن هذا الطبيب انه ذكر ضرر الذباب على الجرح قبل اكتشاف المتأخرين له (٤) .

٣ - قول الدميري في مرض داء الكلب : وصف الدميري في كتابه (حياة الحيوان) مرض داء الكلب وصفاً سبق به باستور الذي اعلن انه اول من اكتشف ووصف اللقاح للتحصين منه ، يقول الدميري عن هذا الداء « هو داء يشبه الجنون ... وعلامة ذلك ان تحمر عيناه وتعلوها غشاوة ، وتسترخي اذناه ويندلع لسانه ، ويكثر لعابه وسيلان انفه ، ويظايطء رأسه ، ويتحذب ظهره ، ويتعوج

(٥) حافظ ، الدكتور مصطفى محمود - لوي باستور - النظرية الميكروبية ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٦) خير الله ، الدكتور امين اسعد - الطب العربي ص ١٨٨ .

(٣) ارنولد ، توماس : تراث الاسلام - ترجمة جرجيس فتح الله ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

(٤) العلوجي ، عبد الحميد - الطب العراقي ص ٤٤ .

ذكر وتحديد الامراض المعدية بواسطة الهواء حيث يقول « وينبغي للانسان اجتناب الامراض المعدية بواسطة الهواء الى مجالسة اصحابها كالجدام والجرب والرمد والسل فليحذر القرب من اصحابها وليتباعده عنهم الى فوق الرمح الى ما بعد » (٨) ان تحديد المسافة بين الصحيح والمريض الى اكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشتريها اليوم بين اسرة المرضى في المستشفيات .

اما الامراض المعدية والسارية التي جاء ذكرها في الكتب العربية والاسلامية فيمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام :

اولاً - الامراض المعدية التي تتسبب عن الاحياء الدقيقة (المكروبات) او (الرواشح = الفيروسات) وشملت ما يلي :

١ - الجدري والحصبة والحمى : ان اهم ما يسجله التاريخ بفخر للرازي في هذا الباب هو كونه لأول مرة في تاريخ الطب وفي كتابه (رسالة في الجدري والحصبة) فرق بين هذين المرضين ووصف كلاهما على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الاطباء العرب واليونان اذ انهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً ، وقد جاء ذكر ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته :

١ - في الفصل الثاني حينما ذكر اوقات انتشار المرضين كلا على افراد .

ب - في الفصل الثالث حينما تكلم عن اعراض كل من المرضين بصورة منفصلة .

ج - في الفصل الرابع عشر حينما وصف الطفح للنوع السليم والنوع المهلك لكلا المرضين كلا على افراد (٩) .

ومن اضافاتهم الاخرى في هذا الباب تأكيد ابن سينا بأن الحصبة اكثر ما تكون عدواها في الربيع والخريف ويعتبر البلدي اول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الامراض فقد اكد على ان المصاب بالجدري او الحصبة مرة لا يصاب به مرة اخرى ، فنجده بعد ان ذكر علامات مرض الجدري وكيفية تفريقه عن مرض الحصبة يقول « فاما ما يخص من ذلك فسخونة البدن كله واشتعال لونه ... وحمرة ... ووجع الظهر خاصة ... فاعلم ان الذي يظهر بالعليل جدري وبخاصة ان كان لا تجدر سيما ان

اسباب سرعة انتقال الامراض المعدية خصوصاً امراض الرئة ويستعرض بايجاز اسباب تلوث الهواء في المدن المزدحمة واطار ذلك على صحة الافراد ويؤكد على ضرورة ترك فراغات بين الابنية للتهوية كطريقة للحيلولة دون تلوث الهواء او للاقلال من التلوث يقول ابن خلدون « واما الموتان فلها اسباب كثيرة - المجاعات ، او كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء ، وهو غذاء الروح الحيواني وملامسه دائماً فيسرى الى مزاجه ، فاذا كان قوياً وقع المرض في الرئة ... وان كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات وتمرض الابدان وتهلك » ثم يقول « ان تخلخل الهواء والفقر بين العمران ضروري لكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن ... ويأتي بالهواء الصحيح » .

اما ابن رضوان فانه اكد بان مياه النيل تتلوث نتيجة وقوفه عن الحركة لأحتقان الماء فيه وعند الفيضان حيث يجلب العفونات والاوزاخ من المستنقعات والمدن التي يمر منها لذلك يؤكد على ضرورة غليه وتصفيته قبل شربه . كما واكد ايضا ان ماء ابار القاهرة لا تصلح للشرب لأنها تختلط بما يترشح فيها من عفونة المراحيض ، جاءت اراءه هذه في كتابه دفع مضار الابدان بأرض مصر ، نكتطف منها ما يلي « وقد استبان ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة والرطوبة وانه ذو اجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديئان وارداً ما يكون النيل بمصر عند فيضانه وعند وقوف حركته وعلى ذلك فينبغي ان يغلي الماء ويبالغ في تصفيته ... فرداءة ماء النيل ناتجة من وقوف حركته في زمن الصيف ومن حركة زيادته لانه يجلب معه الاقدار والعفونات ولذلك ينبغي ان يسقى ماء النيل من المواضع التي فيها جريانه اشد والعفونة فيها اقل ... » (١٠) اما الابار فان ماءها لا يصلح للشرب منه لقرب مياه القاهرة وضواحيها من وجه الارض مع سخافتها يوجب ضرورة ان يصل اليها بالرشح من عفونة المراحيض شيء ما ولان بطائح الارض تمتلئ حتى صار ماء النيل في ايام من ايام فيضانه » (١١) .

٧ - وخاتمة هذه النصوص قول ابراهيم عبد الرحمن الازرق في كتابه (تسهيل المنافع) الصريح في

(٧) رشدي ، محمد : مدينة العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٧ - ٢٨ .

(٨) الازرق ، ابراهيم عبد الرحمن : تسهيل المنافع في الطب والحكمة ص ١٨٠ .

(٩) للزيادة في التفصيل يراجع كتاب تاريخ طب الاطفال عند العرب للدكتور محمود الحاج قاسم ص ١٨ .

كان قد حصب وظهرت الحميقاء » وعند التحدث عن مرض الحصبة يؤكد نفس الفكرة فبعد ذكر العلامات الفارقة بينه ومرض الجدري يقول « فاعلم انه يثور بالعليل حصبة ولا سيما اذا كان العليل لم يحصب وبخاصة اذا كان قد جدر وظهرت به الحميقاء » (١٠).

ونجد للبلدي ايضا وصفا دقيقا لمرض الحميقاء ومن استعراض وصفه لهذا المرض يظهر انه يقصد بذلك ما نسميه اليوم بجدري الماء او الجدري الكاذب (Chikinpox) يقول في ذلك « فاما الحميقاء فانها لا تكاد ان يعرض معها في الحمى وجع الظهر ولا التفزع ... وتخص هذه الحمى قشعريرة ... وظهور البثر في هذا يكون مع الرابع الى السابع واذا ظهر لم يشبه الجدري ولا الحصبة في حال البتة ... » (١١).

٢ - شلل الاطفال : يقول الرازي في ذلك « يحدث الشلل في الاطفال اما في طرف واحد او في الجسم كله وتمنع الطفل من المشي او اي نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب . علاج ذلك اذا لم تكن ولادية ... ان يوضع في حمام وان تدهن مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يوميا المعاجين التالية ... » (١٢) . ثم يمتضى في ذكر المعاجين . وفي الحاوي يصف الرازي ضعف العضلات بالاسترخاء فيقول « اذا وقع الاسترخاء بعقب مرض فاقصد اسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الاعصاب فان فيها اخلاطا باردة » (١٣) وفي محل آخر يقول « فاذا كان العضو عصب حسني وعصب حركي فربما حدثت الآفة باحدهما » (١٤) . وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم عن العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاما صائبا حيث ان ذلك معمول به الآن في علاج شلل الاطفال كما هو معلوم .

٣ - الكزاز : يقول الطبري عن هذا المرض « يحدث في افهام الصبيان علة تعرف بالاصكانك .. وهو ان يصطك اسنانه ويبرز عيناه في سائر بدنه ، شبيه بالاختلاج ولم ار طفلا حدثت به هذه العلة نجا منها ... ذلك هو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل الا

اذا كانت به جراحة خفيفة او ظاهرة » (١٥) . كما يقول عنه ايضا « علة في الطفل كثيرا وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة اطراف العضلات والاورار ... » الى ان يقول « واذا ما استحکم واستكت اسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط وقلما يتخلص منه الطفل ... » . ويذكر من اعراض الكزاز ايضا « العينان ناتئتان وان ترى العليل كأنه يبحث ويعرض له سهر وعسر بول واعلم ان كل افة يحصل في الوتر والنخاع والعضل ... وما يعرض له يعرض للدماغ ... » (١٦) .

ويذكر الرازي في الحاوي بانه « كان صبي اصابه نخس في الجانب الايسر من عضده في العضل فوضع عليه الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات اخرى فتشنج الغلام ومات لان جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة » نستنتج من ذلك بان الرازي يعزى اصابة الطفل بالكزاز الى ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه ويؤكد ضرورة توسيع فم الجرح وهذا ما ينصح به الاطباء اليوم في حالة مماثلة حتى اليوم (١٧) .

٤ - مرض الجذام : كان اول من وصف مرض الجذام وصفا شاملا ابن ماسويه (١٨) . وتبعه الكثير من الاطباء العرب بتفصيل طبيعة المرض المعدية واعراضه وعلاجه ولا يكاد يخلو كتاب من كتبهم من ذكره .

٥ - السل : مرض السل عندهم عبارة عن حدوث قرحة في الرئة يصعب برؤها ويفرقون بين الخراج وبين القروح ويصف ابن سينا هيئة المستعدين للسل وصفا جيدا حيث يقول « هؤلاء هم المجنحون الضيقو الصدر العريو الاكتاف من اللحم الطويلو الاعناق المائلوها الى قدام . والسن الذي يكثر فيه السل ما بين ثمان عشرة سنة الى حدود ثلاثين سنة كما هي في البلاد الباردة اكثر ... وقد يعرض للمسلول ان يمتد به السل ممهلا اياه برهة من الزمان ، واصحاب قروح الرئة يتضررون بالخريف » ثم يميز بين السل وغيره ويذكر علامات السل بقوله « السعال ، الذي كثيرا ما يشتد بهم ويؤدي الى نفث الدم أو السدة ،

(١٠) البلدي ، احمد بن محمد بن يحيى : تدبير الجبالى والاطفال والصبيان - مخطوطة دار الكتب المصرية ص ١٦٥ .

(١١) المصدر نفسه ص ١٦٥ .

(١٢) الرازي ، رسالة في امراض الاطفال والعناية بهم - ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ص ١٨ .

(١٣) الرازي : الحاوي ج ١ ص ٧ .

(١٤) المصدر نفسه ص ١٨ .

(١٥) الطبري ، احمد بن محمد : المعالجات البقراطية - مخطوطة دار الكتب المصرية ص ١٣ .

(١٦) المصدر نفسه ص ٥ .

(١٧) حسين ، الدكتور محمد كامل : طب الرازي دراسة تحليلية ص ٤١ .

(١٨) هوتكه ، سيفريد : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٢ .

خشكريشة ... وربما اطلق اسم النار الفارسية من ذلك على ما كان هناك من جنس النملة اكل محرق منقط فيه سعي ورطوبة ... قليل السواد قليل التقعر ... واطلق اسم الجمرة على ما يسود المكان ويفجم العضو من غير رطوبة ويكون كثير السوداوية غائضا ... « (٢٤) » .

٢ - مرض النوم : ان احمد بن محمد الفلقشندي (٧٥٦ - ٨٢١هـ) (١٣٥٥ - ١٤١٨م) كان اول من اشار الى مرض النوم عندما تحدث عن احد ملوك مالي وهو (قنبنا ابن سليمان) حيث قال « وكان اخر امره ان اصابته علة النوم وهو مرض كثيرا ما يصيب اهل تلك البلاد لا سيما الملوك منهم ، يأخذ احدهم النوم حتى لا يكاد يفيق فاقام به سنتين حتى مات » (٢٥) .

٣ - الجرب : يقول الطبري في كتابه المعالجات البقراطية « اعلم ان الجرب انواع كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد واكثر حدوده الرأس ، شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور » (٢٦) . هناك من يؤكد بأن هذه اول اشارة لحشرة الجرب الا ان البعض الآخر يعتقد بأن ذلك ليس حشرة الجرب وانما بيوض القمل (الصئبان) حيث من الصعوبة رؤية حشرة الجرب بالعين المجردة .

٤ - حبة بغداد ، وتسمى ايضا (حبة بلخ او البلخية) : ان اقدم من وصف هذا المرض واعطى اعراضها بصورة دقيقة وواضحة كان ابو منصور بن نوح القمري البخاري (من قصبة بلخ في خراسان - احد اساتذة ابن سينا - توفي سنة ٩٩١م) . وممن اشار الى حبة بغداد ابن سينا وقد ذكرها باسم قرحة او حبة بلخ . وايضا ممن اشار الى هذا المرض ابو الفضائل اسماعيل بن الحسن الجرجاني (والذي يسمى غالباً سيد اسماعيل والمتوفى سنة ١١٢٧ - ٥٣١هـ) . حيث ذكر ان حبة بلخ - اي حبة بغداد - كانت ولا تزال متوطنة في بلخ وانها كانت موجودة في خانات دهستان ، حيث يطلق السكان في قصبة بلخ اسم عضة البعوض (بيض غاز يبداجي) على الحبة . انه من المناسب هنا ان ننبه الى ان الناس في بلخ ربطوا بين المرض وبين عضة البعوض وعلموا بان

وحمل رقيقة لازمة تشتد عند الليل . ويفيض العرق منهم كل وقت ، ويأخذ البدن في الذبول والاطراف في الانحاء والشعر في الانتشار وتبطل الشهوة للطعام » ومن ملاحظاته هنا ايضا قوله « وا قبل الاسنان لعلاج السل هم الصبيان » (١٩) كما ويقال بانه اكتشف طبيعة السل المعدية لأول مرة (٢٠) . وكان الرازي اول من لاحظ تقوس الاظافر (Clubbing) في حالة الاصابة بالسل حيث يقول « فاذا وقع في السل كمدت الوجنتان وذبل اللحم وتعقفت الاظافر » (٢١) .

٦ - الطاعون : لقد سبق ذكره في اقوال ابن الخطيب وابن خاتمة ولا حاجة لتكراره .

٧ - داء الكلب : وصفه الدميري كما ذكرنا سابقا .

٨ - الرمد : لقد كان عبدالله بن قاسم الحريري من اوائل الاطباء العرب الذين اكدوا طبيعة هذا المرض المعدية حيث قال « ومن امراض العين ما يعدى ويتوارث ومنها ما يعدى ولا يتوارث ... الاول كالسبل والثاني كالرمد ولا سيما الى عين من ينظر اليه ... » (٢٢) . وقد سبق وان ذكرنا قول ابن الازرق في التأكيد على ذلك .

٩ - الامراض التناسلية : لم نجد ذكرا للامراض التناسلية سوى ما جاء في تذكرة داؤد الانطاكي في شرح الزئبق حيث يقول عنه بانه يفيد في علاج الحب المعروف بالافرجي (٢٣) مما يدل على ان هذه الامراض لم تكن معروفة او منتشرة لديهم وربما انتقلت الى البلاد العربية بعد الحروب الصليبية .

ثانيا - الامراض المعدية التي تتسبب عن الطفيليات:

١ - الجمرة الخبيثة : كان ابن سينا اول من اشار الى هذا المرض ووصفه في القانون بقوله « فصل في الجمرة والنار الفارسية هذان اسمان ربما اطلقا على كل بشرة اكل منقط محرق محدث

(١٩) ابن سينا : القانون ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٢٠) قنوتاي ، الدكتور شحلتة : قصة الصيدلة والعقاقير ص ١٦١

(٢١) الرازي : الحاوي ص ٩٦ ج ٤ .

(٢٢) الحريري الاشبيلي البغدادي - عبدالله بن قاسم : نهاية الافكار ونزهة الابصار تحقيق الدكتور حازم البكري -

الدكتور مصطفى شريف العاني ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢٣) الانطاكي ، داؤد : التذكرة ج ١ ص ١٦٩ .

(٢٤) ابن سينا : القانون ج ٢ ص ١١٨ .

(٢٥) الفلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٢٦) الطبري ، احمد بن محمد : المعالجات البقراطية - صه مخطوطة دار الكتب المصرية .

ناقل هذا المرض حشرة تشبه البعوض وليس البعوض ، وقد يكون ذلك من اقدم الاشارات الى حدوث أو انتقال مرض مستديم ومتوطن بعد غصة البعوض أو بكلمة أخرى حشرة ما (٢٧) .

ثالثا - الديدان :

ان عرض الاطباء العرب والمسلمين لموضوع الديدان اعتمد اساسا على شكل الديدان البالغة كما تبدو للعين المجردة ، وما كان لهم ان يذهبوا الى ابعد من ذلك حيث انهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب هذه الديدان واطوار نموها كالبيضات واليرقات . والسبب نفسه لم يوفقوا في فهم مصدر هذه الديدان وقالوا انها تتولد في الامعاء من البلغم اذا كثر العفن مستندين بذلك على نظرية الاخلاط الاربعة (٢٨) .

ولكن عدم معرفتهم بطبيعة الديدان ودورات حياتها لم تمنعهم من وصف اعراضها وصفا دقيقا فقالوا انها كثيرا ما تتولد في الاطفال والصبيان وهي تهيج عند المساء ووقت النوم اكثر ومن اعراضها الجوع والخفقان الشديد والفثيان والمفص والاسهال وانتفاخ البطن ، واذا اشتدت العلة والوجع سقطوا أو تشنجوا والتووا كأنهم مصروعون دون فقد عقولهم وربما تأذت الرئة والقلب بمجاورتها فحدث سعال يابس وخفقان في البطن ، ويعرض لبعضهم يرقان . ومن علاماتها سيلان اللعاب ، اما الصغار فيدل عليها حكة المقعدة ولزوم الدغدغة عندها ويعرض صراخ وتلملم .

والمبدأ العام في علاج الديدان « ان يمنعوا من المادة المولدة لها من المأكولات الرطبة اللزجة مثل الفواكه والبقول والالبان واللحم الخام . وان تنقى البلاغم التي في الامعاء التي منها تتولد ، وان تقتل بأدوية هي سُموم بالقياس اليها . . . ثم تسهل بعد القتل ان لم تدفعها الطبيعة بنفسها ولا يجب ان يطول مقامها في البطن بعد الموت ، ثم يصفون عشرات الادوية كالشيخ والترمس وبزر الكرفس والثوم وقشر الرمان وورق الخوخ . واما حب القرع فانها تحتاج الى اقوى من الافسننتين كالسرخس اما المحمولات فهي اولى بان تخرج من ان تقتل ، الا ما كان في المستقيم من صغار الديدان فهذه قد يقتلها احتمال الملح والاحتقان به واقوى

من ذلك احتمال النفط الابيض أو القطران . والتعب والرياضة الشديدة قد تسهل خروج الديدان . اما اهم الديدان التي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها الى نوعين :

١ - الديدان المعوية ، وهي :

١ - الديدان الطوال العظام (الحيات) وهي تشمل الديدان من صنف الاسكارس .

٢ - الديدان الصفار (دود الخل) وهي تشمل الاوكريزرس .

٣ - العراض (حب القرع) = الديدان الشريطية : يقول البلدي عنها بانها ان خرجت كلها تخلص المريض منها وان انقطعت تولدت ثانية، وهذا قول صحيح لا شك (٢٩) .

٤ - الديدان المستديرة : ذكرها ابن سينا ويقال بانها دودة الانكليستوما ، وقد اكد ذلك الدكتور محمد عبدالخالق عام ١٩٢١ وقد اقترت مؤسسة روكفلر الامريكية ذلك فسجلت ان ابن سينا عرف مصدر هذا المرض قبل ان يعرفه الطبيب الايطالي (دوبيني) الذي ينسب اليه الكشف عن هذا المرض (٣٠) .

ب - الخيطيات (داء الفيلاريا Filariasis) مما ذكره من انواعها :

١ - داء الفيل (Filaria Bancrafts) : يقول ابن سينا عن هذا الداء « هو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو ما يعرض في عروض الدوالي فيغلظ القدم » . وعن علاجه يقول « اما داء الفيل فخبث قلما يبرا ويجب ان يترك بحاله ان لم يؤذ فان ادى الى تقرح وخيفت الاكلة لم يكن الا القطع من الاصل » (٣١) .

٢ - العرق المدني (دودة المدينة) Medium Worm = Guinea Worm = Drancoculus Medinensis

لا يكاد كتاب من الكتب الطبية العربية يخلو من ذكر العرق المدني الا اننا لا نظن احدا وصف هذه العلة حتى عصرنا هذا باكثر مما قاله الرازي عنها وقوله فيها سواب كله . والمعروف انها سميت كذلك نسبة الى المدينة المنورة (يثرب) أو على

(٢٩) مقدمة كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان لاحمد بن محمد البلدي - بقلم المحقق الدكتور محمود الحاج قاسم .

(٣٠) طوفان ، قدرى حافظ : العلوم عند العرب ص ١٨ .

(٣١) ابن سينا : القانون ص ١١٦ ج ٢ .

(٢٧) ابو الحب ، الدكتور جليل كريم : حبة بغداد - مقال - مجلة المورد - العدد ٤ - المجلد ٨ / ١٩٧٩ ، ص ٣٦٩ .

(٢٨) حسين ، الدكتور محمد كامل : الوجز في الطب والصيدلة عند العرب ، ص ٧١ - ٧٣ .

يخرج من هذا العرق في بعض الناس ما يكون طوله خمسة اشبار وعشرة ... فان انقطع لك في حين علاجك له فادخل مرودا في الثقب ويطه طويلا مع البدن حتى يفرغ كل ما فيه من مادة وحاول تعفين الموضع بالادوية اياما ثم عالجه بعلاج الاورام ، وقد يكون هذا العرق ذا شعب كثيرة ولا سيما اذا ظهر في مفصل الرجل أو الرجل نفسه فيحدث له افواه كثيرة ويخرج من كل فم شعبة فعالجه كما ذكرنا في التقسيم وبما تقدم « (٢٦) . ان طريقة العلاج هذه هي الطريقة المستعملة للتخلص من الدودة حتى اليوم .

٣ - الدود المتولد تحت الجلد (Loiasis) (٢٧) :

خصص الزهراوي لهذه الدودة فصلا خاصا تحت اسم « الشق على الدود المتولد تحت الجلد ويسمى علة البقر » فقال « هذا المرض يسمى في بعض البلدان عندنا علة البقر من اجل انها كثيرا ما يعرض للبقر وهي دودة صغيرة واحدة تتولد بين الجلد واللحم وتذب في الجسم كله صاعدة وهابطة تتبين للمس عند ديببها من عضو الى عضو حتى تخرق حيث ما خرقت في الجلد موضعها وتخرج وتكونها من عفونة بعض الاخلاط ... » الى ان يقول « وانما يتوقع من اذيتها انها اذا دبت في الجسم وارتفعت الى الرأس وبلغت العين فربما فتحت فيها وخرجت فأبطلت العين ويعرض ذلك كثيرا فاذا اردت علاجها وخراجها فانما يكون ذلك عند ديببها وظهورها للمس فينبغي ان تشد ما فوقها وتحتها برباط شدا جيدا ثم تشق عليها وخراجها ، فان غاصت في اللحم ولم تجدها فأحمل على الموضع الكي بالنار حتى تحرقها » (٢٨) .

الاقل نسبة الى الجزيرة العربية (٢٢) . يقول الرازي « العرق المدني قد يكون في البلاد الحارة وبشرب المياه الرديئة » (٢٣) ويقول و « يحدث في البلاد اللطيفة الهواء الحارة وفي الابدان الرطبة المترفة اذا انتقلت اليها » (٢٤) و « يتولد في الهند ومصر ويعرض في الاعضاء العضلية مثل المعصمين والساقين والفخذين ، واما في الصبيان فقد يعرض في الجنبين ، وكونها تحت الجلد ويخرج منه طرف العرق فان مد عرضت عنه اوجاع شديدة وخاصة ان انقطع » (٢٥) .

اما عن طريقة التخلص من هذه الدودة فنذكر قول الزهراوي حيث تكلم هو الآخر كلاما يستوجب الاعجاب يقول في سل العرق المدني « هذا العرق يتولد في الساقين في البلاد الحارة كالحجاز وبلدان العرب وفي الابدان الحارة القصيفة القليلة الخصب وربما تولد في مواضع اخرى من البدن غير الساقين ... وعلامته ابتداء حدوث هذا العرق ان يحدث في الساق تلهب ثم تنفط الموضع ثم يتبدى العرق يخرج من موضع ذلك التنفط كانه اصل نبات أو حيوان » وبعد ذلك يقول « فاذا ظهر منه طرفه فينبغي ان يلف على قطعة صغيرة من رصاص تكون زنتها من درهم الى درهمين وتعقده وتترك الرصاص معلقا في الساق ، فكلما خرج منه شيء الى خارج لففته في الرصاص وعقدته فان طال كثيرا فاقطع بعضه ولف الباقي ولا تقطعه من اصله قبل ان يخرج كله لانك ان قطعته تقلص ودخل في اللحم فأحدث ورما وعفنا في الموضع وقرحة رديئة فلذلك ينبغي ان يدارى ويجر قليلا قليلا حتى يخرج عن آخره ولا يبقى منه شيء في البدن ، وقد

(٢٦) الزهراوي : التصريف لمن عجز عن التأليف - طبعة لندن ص ٢٩٤ .

(٢٧) اعتقد انهم يعنون بهذا المرض الذي يتسبب عن دودة (Loa - Loa) .

(٢٨) الزهراوي : التصريف ص ٦٠٥ .

(٢٢) حسين ، الدكتور محمد كامل : طب الرازي ص ٣٩٧ - ٧٩٨ .

(٢٣) الرازي : الحاوي ج ١١ ص ٢٩٢ .

(٢٤) المصدر نفسه ص ٢٩٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ج ١٠ ص ١٩١ .